ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من بيت رسول الله ﷺ غائلة سراً ولا جهراً ، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق . شهد عليه فلان وفلان ، وكفى بالله شهيداً .

فظهرت بذلك معجزة النبي ﷺ في قوله في حق الحسن « ان ابني هذا سيد وسيصلح الله تعالى به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وذلك في اليوم السابع عشر من ربيع الثاني سنة احدى وأربعين ، وسمي ذلك العام عام الجمـــاعة .

فقام الحسن وصعد المنبر وحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ، ثم قال : « أما بعد أيها الناس ، فان هذا الأمر مدة ، والدنيا دول ، وان أكيَس الكيّس التقى ، وأحمق الحمق الفجور » .

إلى أن قال « وقد علمتم ان الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا ، هداكم بجدي ﷺ ، وأنقذكم من الضلالة ، وخلصكم من الجهالة ، وأعزكم بعد الذلة ، وكثركم بعد القلة ، وان معاوية نازعني حقاً هو لي دونه ، وان هذا الأمر الذي اختلفت أنا ومعاوية فيه ، إما أن يكون أحق به مني أو يكون حقي تركته لله تعالى ولصلاح أمة محمد ﷺ وحقن دمائهم وقطع الفتنة . وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من يسالمني ، وتحاربوا من يحاربني ، فرأيت أن أسالم معاوية ، وأضع الحرب بيني وبينه ، وقد بايعته . ورأيت أن حقن الدماء خير من سفكها ، ولم أرد بذلك إلاّ صلاحكم وبقاءكم ، واني قد أخذت لكم على معاوية أن يعدل فيكم ، وأن يوفر غنائمكم ، وأن يقسم فيكم » .

ثم نزل وهو يقول « قل ان ادري أقريب أم بعيد توعدون ، انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون ، وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين » ، فاشتد عليهم ودعوه إلى ما عنى الآية ، فأقبل عليه عمرو ، فقال له الحسن : أما أنت فقد اختلف فيك رجلان ، رجل من قريش وجزار أهل